مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الأول ـ المجلد الثامن والثلاثون
بغداد
رجب ١٤٠٧ هـ ـ آذار ١٩٨٧ م

عَرضُ الكُتُبْ

شَرحُ الكافيَّة البَدِيعيَّة

لصفي الدين الحلي

الدكتور احمد مطلوب
(عضو المجمع)

شهد القرن السابع للهجرة لونا جديدا من التأليف في البلاغة هو « البديعيات» التي كانت قصائد تتضمن فنوناً بلاغية في مدح النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وهي من بحر البسيط وعلى روي الميم كقصيدة البوصيري التي مطلعها :

أمن تذكر جيران بـذي سَلَمِ
مزجت دمعـا جرى من مقلة بدمِ

والبديعيات كثيرة أحصى منها الدكتور احمد ابراهيم موسى أربعا وأربعين(١) ، منها ما هو مشروح ، ومنها ما هو مجرد ، ومنها ما هو مطبوع ، ومنها ما هو مخطوط . وقد اختلف الباحثون في نشأ ها فذهب الدكتور زكي مبارك (٢) الى أن أبا عبدالله محمد بن احمد المعروف بابن جابر الأندلسي

(١) الصبغ البديعي في اللغة العربية ص ٣٨٠ . (القاهرة ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م) .
(٢) المدائح النبوية ص ٢٠٤ . (القاهرة ١٩٦٧ م) .

(— ٧٨٠ هـ) ابتكرها ورسم أصولها . وذهب ابن معصوم المدني الى أن صفي الدين الحلي (— ٧٥٠ هـ) أول من نظم البديعيات ثم استدرك وقال : إن الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليماني الاربلي الصوفي (—٦٧٠هـ) نظم أيضا قصيدة لامية ضمنها ألوانا من البديع ومطلعها :

بعض هذا الدلال والادلالِ
حالَ بالهجر والتجنُّب حالي (٣)

وقال : إنه لا يتحقق أن صفي الدين أول من نظم على الوزن البسيط وروي الميم ؛ لان ابن جابر الاندلسي الأعمى (— ٧٨٠ هـ) الذي كان معاصراً للصفي نظم — ايضاً — بديعيته المعروفة ببديعية العميان (٤) .

ورجّح الدكتور جواد علوش أن يكون صفي الدين أسبق من ابن جابر ، لانه توفي قبله . وان ابن حجة الحموي اعترف باسبقيته في عدة مواضع من خزانته (٥) . وليس هذا دليلاً قاطعا . فقد يكون ابن جابر أسبق لانه كان قد تخطى الخمسين حين مات الحلي ولعله نظمها في هذه السن أو قبل ذلك بكثير فيكون له السبق في هذا المضمار .

ومهما يكن من أمر فقد اشتهرت بديعية صفي الدين ومطلعها :

إن جِئْتَ سَلْعاً فَسَلْ عن جيرة العَلَمِ
واقرا السلام على عُرْبٍ بذي سَلَمِ

وروى الحلي (٦) قصة هذه البديعية فقال : إنه طالع سبعين كتاباً في البلاغة ،

(٣) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٢ ص ١١٨ . (القاهرة تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ١٩٥١ م) .
(٤) انوار الربيع ج ١ ص ٣١ . (تحقيق شاكر هادي شكر — النجف ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) .
(٥) شعر صفي الدين الحلي ص ١٢٦ . (بغداد ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م) .
(٦) شرح الكافية البديعية ص ٥٤ .

وجمع ما فيها من فنون ، وأضاف اليها ما استخرجه من أشعار القدماء ، وعزم على تأليف كتاب يحيط بجلها فعرضت له علّة طالت مدتها وامتدت شدتها ، واتّفق له أن رأى في المنام رسالة من النبي – عليه أفضل السلام – يتقاضاه المدح ويعده البرء من السقام ، فعدل عن تأليف الكتاب الى نظم قصيدة تجمع أشتات البديع وتتطرز بمدح مجده الرفيع ، فنظم مائة وخمسة واربعين بيتا من بحر البسيط تشتمل على مائة وواحد وخمسين نوعا من محاسنه ، ومن عدّ جملة أصناف التجنيس بواحد كانت عنده العدة مائة واربعين نوعا ، فانّ في السبعة الأبيات الاوائل منها اثني عشر صنفاً منه ، وجعل كل بيت مثالاً شاهداً لذلك النوع . وربما اتفق في البيت الواحد منها النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم والمعتمد منها على ما أسس البيت عليه . ثم أخلاها من الأنواع التي اخترعها واقتصر على نظم الجملة التي جمعها ، وألزم نفسه في نظمها عدم التكلف والجري على ما أخذ به نفسه من رقة اللفظ وسهولته ، وقوة المعنى وصحته ، وبراعة المطلع والمنزع ، وحسن المطلب والمقطع ، وتمكن قوافيها . وشرحها بكتاب « شرحا لطيفا لم يوف بالمقاصد ولا أبان عما في النفس من الخبايا ، بل ترك ذلك مهملاً بل ربما لم يصب في بعض الأنواع » (٧) . واهتم الأدباء بها ، وشرحها عبد الغني النابلسي بكتاب سماه « الجوهر السني في شرح بديعية الصفي » وأثنى عليها ابن حجة الحموي في خزانته وفضلها على البديعيات الأخرى وقال في مدح ناظمها : « وما ألمّ بالملفق أحد من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفي الدين الحلي ، وماذاك إلا انه قال في خطبة بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن . وهذا دليل على أنه لما عارضه الشيخ عزالدين والزم تسمية الانواع التي ذكرها الشيخ صفي

(٧) نفحات الازهار لعبدالغني النابلسي ص ٣ . (ط ٣ – بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م) .

الدين لم يجد بُدًّا من نظمه لأجل المعارضة ، ولكن نحت فيه بيتاً من الجبال» (٨) ووازن بينها وبين بديعية الموصلي وقال : « والشيخ صفي الدين الحلي أجاد في الغالب لخلاصه من الورية في تسمية النوع ، ولكنه قَصَّرَ في مواضع نبهت عليها في مظانها . والشيخ عزالدين – رحمه الله – قصَّر في غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية » (٩) . ومن اعجابه بالحلي قلّده وجاراه وحذا حذوه ، قال مفتخراً ببديعيته : « فجاءت بديعية هَدَمْتُ بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال ، وجاريتُ الصفي مقيداً بتسمية النوع وهو في ذلك محاول العقال » (١٠) . وكتاب الحلي ذو أهمية في الدراسات البلاغية :

١ – فهو من أقدم البديعيات إن لم يكن أولها .

٢ – انه خلاصة سبعين كتاباً قرأها الحلي واستخلص منها مادته .

٣ – ان الحلي ناقش الآراء وردّ ما لم يره حسنا مقبولا .

٤ – انه وافق مارآه من الآراء مقبولا .

٥ – ان الكتاب ضم نصوصا أدبية رفيعة تهذب الذوق .

٦ – انه كان دافعا الى نظم البديعيات وشرحها .

طبع الكتاب باسم « شرح بديعية صفي الدين الحلي » سنة ١٣١٦ هـ – ١٨٩٨م وأصبح نادراً كالمخطوط . وظل الباحثون ينتظرون من ينهد لتحقيقه حتى قيّض الله له الدكتور نسيب نشاوي . فعكف عليه دارساً ومحققا وأخرجه مجمع اللغة العربية بدمشق في ٤٨٠ صفحة سنة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ ، فكان خير هدية للدارسين .

(٨) خزانة الادب لابن حجة الحموي ص ٢٧ . (القاهرة ١٣٠٤ هـ) .
(٩) خزانة الادب ص ٤٦٧ .
(١٠) خزانة الادب ص ٣ .

عرفت الدكتور نسيب نشاوي باحثاً في الأدب الحديث وحينما التقيته في المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن بجامعة دمشق في تموز ١٩٨٦م — عرفت انه يجمع بين القديم والجديد وانه أصدر « شرح الكافية البديعية » للحلي ، والجزء التاسع من « مختصر تأريخ دمشق لابن عساكر » لابن منظور سنة ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م . وسررت بمعاصرة تستند الى تراث أصيل ، وأهداني الدكتور نسيب الكتابين وكان سروري بكتاب الحلي عظيما لاني كنت مشتاقا الى رؤيته منذ سنين . قام الدكتور نسيب نشاوي بتحقيق كتاب « شرح الكافية البديعية » خير قيام ، وقدّم له بمقدمة تحدث فيها عن مادته وقيمته وأثره في البديع ، وترجم لصفي الدين ، وأحاط بآثاره الشعرية والنثرية ، ووصف النسخ المعتمدة في التحقيق وهي :

١— نسخة الظاهرية التي كتبت سنة ٨٤٩ هـ ، وقد اتخذها المحقق أصلاً لدقة روايتها وخلوها من التصحيف .

٢ — نسخة الظاهرية التي كتبت سنة ٧٦٦ هـ ، وهي أقل من الأولى أهمية لان فيها سقطا .

٣ — نسخة المركز الثقافي بحماة التي كتبت سنة ١٠٠٨ هـ .

٤ — نسخة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ، وهي ناقصة غير مشكولة .

٥ — النسخة المطبوعة عام ١٣١٦ هـ — ١٨٩٨ م .

هذا ما كان من أمر التقديم ، أما النص فقد بذل فيه الدكتور نسيب جهداً كبيراً يدل على حرص عظيم . وكان في تحقيقه يسعى الى اثبات الرواية الصحيحة للمؤلف ، وترتيب الابواب والفقرات بحسب ورودها في الاصول ، ووضع ما أضاف اليها بين هلالين معقوفين ، والتخفف من شكل الالفاظ المثلثة ، وشكل ما يحتاج الى شكل ولاسيما آيات الذكر الحكيم وحرف الروي ، والتدقيق في شكل الحروف التي تحتمل وجهين ، والاشارة الى الفروق بين

النسخ حين يكون ذلك مفيدا ، وكتابة بعض الشروح لتفسير لفظة أو جملة ، وتخريج الأبيات والأخبار ، والتعريف ببعض الاعلام ، ووضع فهارس الآيات والاشعار والأعلام والكتب والموضوعات .

وهذه هي سبيل المحققين ، غير أن الدكتور نسيب اهتم بالتخريج اكثر من اهتمامه بالنص والفنون البلاغية . وكنت قد دعوت قبل سنوات الى أن تتخفف كتب علوم اللغة العربية من التعليقات الطويلة والتخريجات الكثيرة ، وأن يعنى المحقق بمادة الكتاب ليكون أعظم فائدة واكثر نفعاً (١١) .

إن عناية الدكتور نسيب بكتاب الحلي كانت عظيمة ، وهناك ملاحظات عرضت لي في اثناء قراءة الكتاب وهي :

١ — ان مقدمة التحقيق موجزة ، وكنت أود أن تعرض للبديعيات وتوازن بينها ، وتضع بديعية الحلي حيث ينبغي لها أن توضع بين البديعيات .

٢— ان ترجمة المؤلف جاءت طويلة ، وليس الحلي ممن يُعَرَّف به هذا التعريف وقد طبقت شهرته الآفاق .

٣ — ان المحقق لم يتخذ كتب البلاغة — ولاسيما البديعيات — أساساً في تحقيقه . وقد نجم عن ذلك انه لم يشر الى المصادر التي استقى منها صفي الدين إلا قليلاً . والاشارة الى المصادر في مثل هذا اللون من الكتب ضروري للتأكد من سلامة النص المنقول ودقته ، ومن صحة النسبة الى القدماء . ومن أوضح الأمثلة ما جاء في أول الكتاب : « فان أحق العلوم بالتقديم ، وأجدرها بالاقتباس والتعليم بعد معرفة الله العظيم ، معرفة حقائق كلامه الكريم ، وفهم ما أنزل في الذكر الحكيم لتؤمن غائلة الشك والتوهيم ، « أَفَمَنْ يَمْشِي

(١١) ينظر (نظرة في تحقيق الكتب — علوم اللغة والادب) المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية (المجلد الاول — الجزء الاول) ص ٤١ . (١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م) .

مُكِبًّا على وَجْهه أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشي سَوِيا على صِراطٍ مُسْتَقيم » . ولا سبيل الى ذلك إلا بمعرفة علم البلاغة وتوابعها من محاسن البديع اللتين بهما يُعرف وجه إعجاز القرآن وصحة نبوة محمد — صلي الله عليه وسلم — بالدليل والبرهان » (١٢) . وهذا يُذكّرُ بكلام أبي هلال العسكري : « إنّ أَحَقّ العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه — علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحق ، الهادي الى سبيل الرشد ، المدلول به على صحة الرسالة وصحة النبوة » (١٣) . ومثل عبارة « اختيار المرء شاهد عقله ، وشعره شاهد فضله » (١٤)، وهي قريبة مما ذكره العسكري : « اختيار الرجل قطعة من عقله كما أن شعره قطعة من علمه » (١٥) .

٤ — إن المحقق أسرف في تخريج الشواهد ، والمعروف انه يكتفى بالاشارة الى ديوان الشاعر ، فان لم يكن له ديوان فيشار الى أقدم مصدر . ولو فعل المحقق ذلك لصرف جهده الى العناية بما في الكتاب من مادة علمية .

٥ — ان الدكتور نسيب لم يحقق أقوال الحلي مثل « وسماه قوم » و « قليل من أفرد هذا الصنف » و « في تسميته اختلاف كثير » و « قال البديعيون » وغير ذلك مما يكمل الكتاب ويحقق الأقوال .

٦ — ان المحقق يشير في كل بيت من البديعية الى مكانه في ديوان الحلي وكنت أود أن يذكر القصيدة ملحقة بالكتاب كما جاءت في الديوان ويقيم موازنة بين النصين والقراءات فلعل فيها نفعا في توجيه الكلام .

٧ — ان المحقق يذكر عند كل علم يرد ان « ترجمته في ملحق تراجم

(١٢) شرح الكافية البديعية ص ٥١ .
(١٣) كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري ص ١ . (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم القاهرة ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م) .
(١٤) شرح الكافية البديعية ص ٥٦ .
(١٥) كتاب الصناعتين ص ٣ .

الاعلام » وعبارته في المقدمة « وقد جمعت التعريفات في آخر الكتاب منسوقة على حروف المعجم » تغني عن مئات الاشارات التي ناءت بحملها هوامش الكتاب .

٨ — ان بعض المواضع تفتقر الى التكملة في الهامش مثل اشارة الحلي الى ما لرد العجز على الصدر من ضروب .

٩ — ان المحقق يرجع أحيانا الى الكتب الحديثة كما في أبيات ديك الجن :

قولي لطيفـك ينثـني عن مضجعي عند المنام (١٦)

والرجوع الى المصادر أولى .

١٠ — ان المحقق فصّل القول في مصادر الحلي وفاته بعض طبعاتها مثل (١٧): البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب الذي طبع ببغداد عام ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م بتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ، وهو النسخة الكاملة لنقد النثر المنسوب الى قدامة بن جعفر .

وحلية المحاضرة في صناعة الشعر للحاتمي الذي له طبعة أخرى صدرت ببيروت عام ١٩٧٨ م بتحقيق هلال ناجي .

والمنصف لابن وكيع الذي طبع في دمشق سنة ١٩٨٢م بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية وفي الكويت عام ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم .

وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي الذي طبع في بغداد سنة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م بتصحيح مكي السيد جاسم —.

والاقناع في العروض وتخريج القوافي للصاحب بن عباد الذي طبع في بغداد عام ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م بتحقيق محمد حسن آل ياسين .

---

(١٦) تنظر الابيات في خزانة الادب للحموي ص ٧٨ .

(١٧) لعل عذره انه قدّم الكتاب منذ مدة طويلة الى المطبعة وان بعض الطبعات صدرت بعد طبعه .

ومفتاح العلوم للسكاكي الذي طبع في بغداد سنة ١٩٨٢ م بتحقيق الدكتور اكرم عثمان يوسف .

وكتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر الذي طبع في بغداد سنة ١٩٨١ م بتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي .

والبرهان الكاشف عن اعجاز القرآن لابن الزملكاني الذي طبع في بغداد سنة ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م بتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي .

وعيار الشعر لابن طباطبا العلوي الذي طبع في القاهرة بتحقيق الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام ، وطبع في الرياض سنة ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م بتحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع . والمصباح لبدر الدين ابن مالك الذي طبع في القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ .

وكتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي لصفي الدين الحلي الذي ظهرت طبعته الجديدة في القاهرة سنة ١٩٨١ بتحقيق الدكتور حسين نصار .

١١ — ان مصادر التحقيق البلاغية قليلة مما ضيق آفاق التحقيق .

هذه نظرة في كتاب « شرح الكافية البديعية » لصفي الدين الحلي ولا تقلل الملاحظات التي عرضت لي من عمل المحقق الذي بذل جهداً عظيماً ، وحسبه انه وضع هذا السفر بين أيدي الباحثين . وتبقى الملاحظات بعد ذلك وجهة نظر ، لان لكل محقق طريقته ولكل باحث منهجه ، ولعل ما أشرت اليه يمثل وجهة نظري في تحقيق كتب البلاغة ، وهي وجهة تدعو الى الاهتمام بمادة الكتاب وبما فيه من آراء وموازنتها بما في الكتب الاخرى لتظهر أهمية الكتاب ويأخذ موقعه في التراث العربي الخالد .